

الابستمولوجيا النسوية وبناء المعرفة السيادية: قراءة نقدية سوسيولوجية

د. فاطمة عبد علي الثابت

د. موج علي الموسوي

كلية الآداب / جامعة بابل

Feminist Epistemology and the Construction of Sovereign Knowledge:**A Sociological Critical Reading****Dr. Fatima Abdul Ali Al-Thabet**fatima.althabit@uobabylon.edu.iq**Dr. Moj Ali Al-Mousawi**art.mouj.ali@uobabylon.edu.iq**College of Arts/University of Babylon****Abstract**

The research begins with a central problem: the absence of feminist epistemology in the Iraqi sociological field, and the dominance of the male-dominated cognitive structure inherited from imported intellectual sources, including the American school, which influenced the founders of sociology in Iraq. Despite some critical references to women's issues in the writings of pioneers of sociology, such as Dr. Ali Al-Wardi, this field has remained unable to produce an independent feminist perspective capable of dismantling authoritarian structures and representing women's experiences. The research proposes a new framework to address this gap through the concept of "sovereign knowledge," a term coined by the researcher and introduced for the first time in this context. It is defined as a knowledge production process rooted in local social and cultural reality, possessing critical independence, and refusing to submit to the dictates of global epistemological power centers. Sovereign knowledge seeks to empower society to determine its priorities and research paths, while engaging marginalized groups, especially women, as active partners in formulating theory and practice. Thus, it represents a critical counterpoint to the concept of "hybrid knowledge," which lacks authenticity and local roots.

The research relies on a critical analytical approach based on examining the intersections of sociology, feminist epistemology, and production mechanisms. The research concludes that adopting sovereign knowledge is not merely a methodological development, but rather a liberating epistemological project that restores Iraqi sociology's ability to produce authentic knowledge, rooted locally, and open to critical dialogue with global experiences, ensuring a true representation of social reality.

Keywords: Epistemology, Women, Knowledge, Sovereignty, Sociology, Iraq, Gender, Social.

الملخص

ينطلق البحث من إشكالية مركزية متمثلة في غياب الابستمولوجيا النسوية عن الحقل السوسيولوجي العراقي، وهيمنة البنية المعرفية الذكورية الموروثة عن الروافد الفكرية المستوردة، ومن ضمنها المدرسة الامريكية التي تأثر بها مؤسسو علم الاجتماع في العراق، وعلى الرغم من بعض الاشارات النقدية لقضايا المرأة في كتابات رواد علم الاجتماع مثل د. علي الوردي، فإن هذا الحقل ظل عاجزاً عن إنتاج منظور نسوي مستقل قادر على تفكيك البنى السلطوية وتمثيل خبرات النساء.

يقترح البحث إطاراً جديداً لمعالجة هذه الفجوة عبر مفهوم " المعرفة السيادية " وهو مصطلح من صياغة الباحثة يُطرح لأول مرة في هذا السياق، ويُعرف باعتباره عملية إنتاج معرفي متجذرة في الواقع الاجتماعي والثقافي المحلي، تمتلك استقلالاً نقدياً، وترفض الخضوع لإملاءات مراكز القوة المعرفية العالمية، تسعى المعرفة السيادية لتمكين المجتمع من تقرير أولوياته ومساراته البحثية، مع إشراك الفئات المهمشة وخاصة النساء كشركاء فاعلين في صياغة النظرية والممارسة، وبذلك تمثل نقياً نقدياً لمفهوم " المعرفة الهجينة " التي تنقصر للأصالة والجذر المحلي.

يعتمد البحث على مقارنة نقدية تحليلية تقوم على دراسة تداخلات السوسيولوجيا والابستمولوجيا النسوية وآليات الإنتاج، ويخلص البحث الى تبني المعرفة السيادية ليس مجرد تطوير منهجي، بل هو مشروع تحرري معرفي يعيد للسوسيولوجيا العراقية قدرتها على إنتاج معرفة حقيقية، متجذرة محلياً، ومنفتحة على الحوار النقدي مع التجارب العالمية، بما يضمن تمثيلاً حقيقياً للواقع الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: ابستمولوجيا، النساء، معرفة، سيادة، سوسيولوجيا، العراق، نوع، اجتماعي.

المحور الأول: الإطار المنهجي

مشكلة البحث:

شهد حقل علم الاجتماع العراقي منذ تأسيسه تأثراً عميقاً بالروافد الفكرية المستوردة، ورغم التجذير السوسيولوجي العراقي الذي تبناه د. علي الوردي وعلماء آخرين، فإن غياب الابستمولوجيا النسوية حال دون تطوير خطاب نقدي يعكس تعمق تجارب النساء والفئات المهمشة في المجتمع العراقي، وبدلاً من أن تنشأ معرفة متجذرة في السياق المحلي ظل الإنتاج المعرفي يعاني من "الهجنة المعرفية"، أي المزج غير النقدي بين المفاهيم المستوردة والواقع المحلي، مما أضعف قدرته على تفسير الظواهر الاجتماعية بدقة، وأدى إلى استمرار التبعية الأكاديمية.

تتمثل مشكلة البحث في انطلاقها من مشكلة محورية متمثلة بافتقار السوسيولوجيا العراقية إلى إطار معرفي مستقل قادر على تمثيل الواقع العراقي من الداخل، لتفسير قضية مهمشة متمثلة باستبعاد الابستمولوجيا النسوية من السوسيولوجيا العراقية وبالتالي غيابها تماماً عن المشهد المعرفي.

وبالتالي كيف يمكن تأسيس إطار ابستمولوجي بديل في السوسيولوجيا العراقية يقوم على مفهوم السيادة

المعرفية؟

أهداف البحث وأهميته:

تتلخص الأهمية العلمية للبحث بدورها في فهم غياب نظرية المعرفة النسوية عن مجال علم الاجتماع في العراق، وتحليل الطرق التي قد تستبعد بها النماذج الاجتماعية التقليدية أو تهمش أصوات وخبرات النساء والفئات المهمشة الأخرى في العراق، وتسليط الضوء على أهمية دمج وجهات النظر هذه في البحث الاجتماعي بشكل عام يهدف البحث إلى المساهمة في فهم أكثر دقة وشمولية لفهم أسباب غياب نظرية المعرفة النسوية، وتعزيز الوعي والاعتراف بمساهمات الباحثات السوسيولوجيات من خلال تأسيس لمعرفة سيادية تقرر بمعرفة الهامش كمعرفة أصيلة.

منهجية البحث:

أن نوع الدراسة الموصوفة، والتي تتضمن استكشافاً متعمقاً لغياب المعرفة النسوية في علم الاجتماع العراقي، مع التركيز، يقع ضمن الفئة الأوسع للبحث الاجتماعي النوعي، وبشكل أكثر تحديداً، فإنه يتماشى مع المجال الفرعي لمنهجيات البحث النوعي المستخدمة بشكل شائع في علم الاجتماع، ونظراً للتركيز على نظرية المعرفة النسوية، وديناميكيات النوع الاجتماعي، والرؤى الاجتماعية، فقد تقع هذه الدراسة أيضاً ضمن الإطار الأوسع لعلم الاجتماع النسوي أو دراسات النوع الاجتماعي في علم الاجتماع، تعكس الطبيعة متعددة التخصصات للبحث، والتي تتضمن عناصر من التاريخ والسياسة وعلم الاجتماع، الطبيعة المتنوعة والتكاملية للبحث الاجتماعي النوعي. تنطلق هذه الدراسة بمنهجيتها لفحص كيفية بناء المعرفة وعلى الأخص (السوسيولوجية) من واقع تجارب النساء المعيش، وبالتالي نقادي الخطأ التاريخي، القائم على أقصاء النساء عن مجالات المعرفة السائدة، حيث تقول الباحثة النسوية باتر يشاهيل كولنيز " أن التجارب الملموسة للنساء هي التي تقدم المصادقية في أدعاءات المعرفة تلك " وهذا استدعى استخدام منهجية جديدة، من مدخل تحليل المضمون الذي يعتمد قراءات للأسهامات السوسيولوجية النسوية من خلال تجارب نموذج من الرائدات في بناء مدخل بحث ودراسة والتوصل الى معرفة جديدة.^١

١. شارلين ناجي هيسي، بايير باتريشا لينا ليفي، مدخل الى البحث النسوي ممارسة وتطبيقاً، ترجمة: هالة كامل، المركز القومي

للترجمة، القاهرة - مصر، ٢٠١٥، ص ٢٠

المحور الثاني

الابستمولوجيا النسوية في السياق العالمي: المفهوم والتحديات

تعد الابستمولوجيا النسوية أحد أهم التيارات النقدية في نظرية المعرفة المعاصرة، إذ تعيد قراءة شروط إنتاج المعرفة في بلدان المركز، لكن واقع مجتمعات الهامش يكشف التحيزات الجندرية التي طالما شكلت البنى الفكرية للعلوم الاجتماعية، على الرغم من أن المقاربة التقليدية للمعرفة قدمت نفسها على أنها موضوعية ومحايدة، لكن هناك رأي آخر يرى أن هذه الموضوعية غالباً صيغت من منظور ذكوري أستبعد خبرات النساء والفئات المهمشة، كما جاء في قراءة ساندرا هاردينغ، إذ ترى أن " الموضوعية القوية " لا تتحقق إلا عبر الاعتراف بالموقع الاجتماعي للباحث، وأعتبار التجارب الحياتية للنساء منطلقاً لفهم أعمق للواقع^١.

أما دونا هاروي فتطرح مفهوم " المعرفة المت موضعة " التي تعني المعرفة التي تُنتج من موقع اجتماعي وثقافي محدد، ولا يمكن النظر إليها كمعرفة كلية محايدة^٢.

أن الابستمولوجيا النسوية هي فرع من الفلسفة النسوية التي تدرس بشكل نقدي كيفية تأثير الجنس على خلق المعرفة والتحقق من صحتها ونشرها، إنه يشكك في الأطر والأساليب المعرفية التقليدية، التي تشكلت تاريخياً من خلال المعايير والتحيزات الأبوية، تسعى نظرية المعرفة النسوية إلى فهم كيفية تأثير ديناميكيات النوع الاجتماعي وهياكل السلطة والتسلسل الهرمي الاجتماعي على ما يعتبر معرفة صالحة ومن يمكنه المشاركة في عملية صنع المعرفة^٣.

أثار التحدي الذي طرحته الحركة النسوية في علم الاجتماع، وعلى الرغم من مرور ما يزيد على أربعة عقود منذ ظهور الابستمولوجيا النسوية وانتشار أطروحات تتأرجح بين تأييدها ومعارضتها، فإن الفكر الاجتماعي في المنطقة العربية لم يتزحزح عن الموقف الابستمولوجي الكلاسيكي، الداعي إلى الفصل بين الذات والموضوع، وبين الحقيقة والقيمة، وغيرها من المبادئ المنهجية الكلاسيكية التي واجهتها الابستمولوجيا النسوية، وما يقود إلى صوغ إشكالية استفهامية، تقوم على سؤالين أساسيين: ما الشروط التاريخية والسياقات السياسية التي حددت الابستمولوجيا النسوية؟ وما مدى تأثيرها في إنتاج المعرفة السوسيولوجية وفهمها في المنطقة العربية؟ ومن هنا تتطرق الابستمولوجيا النسوية " الكيفية التي يؤثر بها النوع في تصورنا للمعرفة، وفي ممارسات البحث والاستدلال، من خلال تأثير هذه الابستمولوجيا بعلم الاجتماع وخصوصاً عمل كارل مانهايم حول سوسيولوجيا المعرفة الذي

1. Harding, S. Whose Science? Whose knowledge? Thinking from Women's Lives. Cornell University Press. ٢٠١٦

<https://www.cornellpress.cornell.edu/book/9780801478620/whose-science-whose-knowledge>

2. Haraway, D. Situated knowledges: The science question in feminism and the privilege of partial perspective. Feminist Studies, 14(3) ١٩٨٩, 575-599.

٣. يمني طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد ٢، المجلد ٣٤، أكتوبر - ديسمبر، ٢٠٠٥، ص ١١

أهتم منذ عام ١٩٣٠ بفهم المعرفة في ضوء وجهة نظر النساء في محاضراته وأعماله في هذا المجال، كما درس كيف يفضي أدماج وجهة نظر النساء في سوسيولوجيا المعرفة الى الامتياز الأبستمولوجي الذي منحه معاصروه الماركسيون لوجهة نظر البروليتاريا^١، وظهر التأثير المتبادل بين الأبستمولوجيا النسوية والسوسيولوجيا جلياً في بريطانيا من خلال أنتوني غدنز الذي يعد من الأوائل الذين وظفوا مفاهيم الحركة النسائية ودراسات الجندر، من خلال مفاهيم النوع الاجتماعي والجنسانية وهوية الذات، إضافة الى سوتيريوس سارانتاكوس من خلال كتابه البحث الاجتماعي الذي طرح من خلاله البحث النسوي الذي يعرض فيه طبيعة البحث النسوي ومبادئه وطرائقه وبين أثر الأبستمولوجيا النسائية في أثناء التفكير في البحث الاجتماعي^٢.

المحور الثالث: الروافد الفكرية ودورها في تشكيل السوسيولوجيا العراقية: قراءة نقدية في مصادر المعرفة

لم يتشكل الحقل السوسيولوجي العراقي في فراغ، بل جاء نتيجة تفاعل معقد بين الروافد الفكرية المحلية والتأثيرات العالمية، وهو تفاعل لم يكن بمعزل عن ديناميات السلطة والمعرفة التي تنتقدها الابستمولوجيا النسوية. تعد الحركة النسوية في العراق من الحركات التي لها جذور تاريخية تمتد الى تأسيس الدولة العراقية، حيث مثلت كفاح المرأة العراقية في أثبات دورها وسط مجتمع ذكوري قبلي، لكن باتت هذه الحركة متماهية في مجالات مختلفة فهناك من برزن في مجال العمل الوطني والسياسي وهناك من برزن في مجال الصحافة والادب، فلم تحقق وجود متفرد وخط مستقل لها، بل انطلقت من خلال تخصصات مختلفة وباتت تعلن عن وجودها وبالتالي تشكلت الأبستمولوجيا النسوية.

وأفرد علم الاجتماع زوايا متخصصة للمرأة للتناول قضاياها المختلفة، فالتغيرات والتطورات التي حدثت في المجتمعات الصناعية الرأسمالية كان من شأنها ان تدفع بعلماء الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد والانثروبولوجيا وعلوم السياسة ان تخضع ظاهرة الاحتجاجات الواسعة التي اجتاحت مجتمعات اوروبا وامريكا، فما كان الا ان ظهرت فروع في علم الاجتماع تهتم بدراسة الحركات النسوية واوضاع وادوار المرأة في المجتمع، بعد ان كان مجال دراستها في علم الاجتماع ينحصر في إطار دراسات الاسرة ومشكلاتها .

واتخذ العلم أكثر من مسمى فأطلق عليه في البداية Sociology of Sex _ Roles وهو العلم الذي يدرس الفروق البيولوجية بين الجنسين (الرجل والمرأة) وما يترتب عليها من تمييز اجتماعي واقتصادي وسياسي وثقافي، و Sociology of Women اهتم بنفس المضمون مع التركيز على البعد التاريخي في نشأة التمييز

١. رشيد بن بيه، الابستمولوجيا النسوية وتأثيرها في إنتاج المعرفة السوسيولوجية وفهمها في المنطقة العربية، مجلة عمران، العدد

١٤/٣٧، صيف ٢٠٢١، ص ١٤

٢. رشيد بن بيه، مصدر سابق، ص ١٥

بأشكاله المختلفة و Sociology of Gender وهو الذي اهتم بدراسة الفروق الاجتماعية بين النوع الاجتماعي، اي بين الرجل والمرأة وكيفية ازالة كافة اشكال التمييز في الاسرة والمجتمع^١.

وأخذ علم الاجتماع في العراق على عاتقه الدفاع عن دور المرأة وتغيير واقعها من خلال بداياته الاولى مع الدكتور علي الوردي حيث يقول " أول من دعا الى تحرر المرأة في العراق الشاعر المعروف صدقي جميل الزهاوي وذلك في عام ١٩١٠، وتطرق الوردي في ذكر الحادثة التي خلدت الزهاوي في تاريخ المدافعين عن حقوق المرأة في عالمنا العربي حيث كتب الزهاوي مقالا بعنوان المرأة والدفاع عنها في مجلة المؤيد المصرية، وأعدت تنوير الافكار العراقية نشر المقال على صفحاتها، مما أدى الى حصول حالة هياج عامة في بغداد، خرجت المظاهرات الصاخبة مطالبة بإزالة العقوبة الرادعة على الكاتب الزنديق ..."^٢، وبالتالي أعتبر الوردي موقف المجتمع العراقي من المرأة آنذاك هو أحد مظاهر الازدواجية في الشخصية العراقية، ومن هنا بدأت بوادر الابستمولوجيا النسوية في علم الاجتماع، لكن طُرحت وفق رؤى ماكروية جاءت قضايا المرأة في سياقاتها.

بالتالي تم الترويج للنسوية في علم الاجتماع العراقي من خلال مجموعة من الأنشطة الأكاديمية وغير الأكاديمية، بما في ذلك البحث والتدريس والنشاط والدعوة. في أوائل القرن العشرين، بدأت النساء العراقيات في تنظيم أنفسهن في مجموعات للدفاع عن حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين. ومع ذلك، لم تكتسب الأفكار النسوية المزيد من الزخم في علم الاجتماع العراقي حتى السبعينيات والثمانينيات.

إحدى الطرق التي تم بها الترويج للنسوية في علم الاجتماع العراقي هي إدخال النظريات والمفاهيم النسوية في المناهج الأكاديمية، وقد سمح ذلك للطلاب بفحص القضايا المتعلقة بالنوع الاجتماعي والسلطة وعدم المساواة بشكل نقدي، وساعد في خلق مساحة للخطاب النسوي في علم الاجتماع العراقي.

علاوة على ذلك، لعبت المنظمات النسوية العراقية دوراً أساسياً في تعزيز الأفكار النسوية وتمكين المرأة في مختلف جوانب المجتمع، بما في ذلك المشاركة السياسية والتعليم والرعاية الصحية والتوظيف. كما قدمت هذه المنظمات الدعم لضحايا العنف القائم على النوع الاجتماعي ودعت إلى إجراء تغييرات في القوانين والسياسات التي تميز ضد المرأة.

بشكل عام كان تعزيز النسوية في علم الاجتماع العراقي عملية تدريجية تضمنت جهود الباحثين والناشطين والمنظمات النسوية، على الرغم من وجود تحديات ونكسات، لكن ما يهمنا في هذا المجال هو كيف عززت الابستمولوجيا النسوية في علم الاجتماع؟ أي ما هو دور النسويات في تعزيز قضية المرأة في علم الاجتماع؟

١. ليلي عبد الوهاب، موقف علم الاجتماع من قضايا المرأة، واقع المرأة الوفية، مجلة الوحدة العربية، السنة الاولى، العدد ٩، المجلس

القومي للثقافة العربية، يوليو، ١٩٨٥، ص ٦٠

٢. علي الوردي، لمحات من تاريخ العراق الحديث، ج ١، ص ٢٠٣

فالنتاج المعرفي السوسيولوجي من أهم مجالات تعزيز دور المرأة والدفاع عنها بعيداً عن هيمنة السلطة وتسييس النظرية.

أما على الصعيد العالمي، فقد استمدت السوسيولوجيا العراقية الكثير من مناهجها النظرية وأدواتها البحثية من المدرسة الغربية، عبر الترجمة أو الدراسة في الخارج، ورغم ان هذه الروافد جلبت أدوات تحليلية مهمة، فأنها حملت أيضاً معها تحيزات إبستمولوجية مرتبطة بسياقات إنتاجها الأصلية وهذا جعل استيرادها دون تكييف للواقع العراقي هو " معرفة هجينة".

ومن ضمن هذه الروافد التي شكلت الجذور الأساسية لعلم الاجتماع في العراق هي السوسيولوجيا الأمريكية، أن الخوض في الفكر السوسيولوجي الأمريكي المتمثل بالفلسفة البرجماتية هو بمثابة الخوض في أبعاد النهضة الفكرية في علم الاجتماع الأمريكي، الذي تجسدت بطروحات وليم جيمس وجون ديوي، وجاءت بمثابة الثورة على التفكير المثالي، الذي يباعد بين الفكر والعمل، فجعلت الفكر والعمل شكلين لحقيقة واحدة، وحطمت المثالية التقليدية، التي كانت تربط المفكر بنمط معين من التفكير^١.

وهذا الفكر الفلسفي ولد مدارس ونظريات متميزة، تمثلت بالتفاعلية الرمزية كاتجاه تنظيري في علم الاجتماع، والتفاعلية الرمزية نسق منهجي / نظري يتشكل من شبكة من المفكرين والباحثين، من أبرز منظره، هربرت ميد وهربرت بلومر، وتبلورت أفكار هذه المدرسة في المحاور الأساسية التالية^٢:

- النظرة للمجتمع كنتاج جماعي، وهذا ما يعني أنه ينبغي دائماً الانطلاق في دراستنا لتنظيم مدينة ما أو مؤسسة ما أو أنساق اجتماعية ما، لا من اعتبارها وحدات موضوعية موجودة قبلياً ومحددة للفعل الانساني ولكن كنتيجة لتجارة الناس، أي لالتقاء الجماعات، والتقاء عملهم، وصراعاتهم، وأنماط معرفتهم وتعلمهم، وهذا ما يجعل هذا التيار يعارض كل ميل أو تبني لأية حتمية اجتماعية
- أن مصادر النشاط الانساني (كفاءات معرفية، قواعد، فئات، مواقف اجتماعية) تتشكل بالأساس انطلاقاً من العلاقات البين-ذاتية، التي تتطور عبر الزمن وتفسر النظام الاجتماعي^٣.
- أن القول بوجود علاقة جدلية بين التفكير والفعل يقوم على أساس نظرة للكائن الانساني ككائن مبدع وليس مجرد كائن سلبي.

١. زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢١، ص ٩٢

٢. عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، أفريقيا الشرق، المغرب -الدار البيضاء، ٢٠١٦، ص ٨٠

٣. المصدر نفسه، ص ٨١

وهذه المبادئ السوسيولوجية التي أفرزتها التفاعلية الرمزية تجسدت بوضوح في دراسات ميدانية، لامست واقع المجتمع الأمريكي، تزعمتها مدرسة شيكاغو، بزعامة بارك وبرجس، اللذان غيرا مسار السوسيولوجيا، فعلم الاجتماع الحضري أستطاع تحويل المدينة بظواهرها الى موضوع سوسيولوجي وهو امتداد للفكر الاوربي الذي جاء به أميل دوركهايم و جورج زمل وماكس فيبر، التي تركزت أغلب بحوث هذه المدرسة على البحوث الميدانية وتحولات مجتمع المدينة^١.

لقد كانت الأبحاث السوسيولوجية قبل ذلك موجّهة صوب "التحقيقات الاجتماعية" الموسومة بالأخلاقية، كما أن المنهجية المعتمدة من طرف رواد "مدرسة شيكاغو" وتلامذتهم، هي التي تنطلق من الفرد، أو الفاعل الاجتماعي؛ لأنه لا يمكننا أن نفهم التفسيرات الجماعية لكل سلوك إلا إذا اعتبرناها من وجهة نظر الفاعل حيث يتطرقون للظواهر/ المشاكل الاجتماعية التي تتنازل وتتفاعل في "مختبر اجتماعي فريد" اسمه مدينة شيكاغو، ومن بين تلك الظواهر/ المشاكل هناك ظاهرة الهجرة وما يرتبط بها من تحديات تدخل في إطار ما تعرفه المدينة من "تحضر" بمعنييه الكمي والكيفي^٢.

بالتالي فإن تشكل علم الاجتماع في العراق ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالروافد الخارجية، ورغم ما تتسم به هذه الخلفية من مرونة في تناول الظواهر الاجتماعية، فأنها لم تكن مهياً بما يكفي لاستيعاب الفروقات الجندرية أو منح قضايا النوع الاجتماعي مكانة مركزية في التحليل.

لقد قدم الوردي كما أشرنا سابقاً ملاحظات دقيقة حول الواقع الاجتماعي للمرأة، وسجل انتقادات لصور التهميش التي تتعرض لها، غير أن الإطار المعرفي المستورد الذي تأسس عليه الحقل السوسيولوجي حال دون بروز رافد نسوي مستقل، وبهذا أقتصر الحقل على أصوات نسائية هنا وهناك لم ترقى الى بناء نظرية سوسيولوجية.

المحور الرابع: إنتاج المعرفة السيادية السوسيولوجية في العراق

يمثل التأسيس لإنتاج أبستمولوجيا نسوية في الحقل السوسيولوجي العراقي خطوة مهمة نحو إنتاج معرفة سيادية، خاصة في ظل الإرث المعرفي الذي تشكل في بيئة يغلب عليها الطابع الذكوري وبالتالي لتحقيق "معرفة نسوية سيادية في مجال السوسيولوجيا" يتطلب إعادة النظر في البنية المنهجية للعلوم الاجتماعية بحيث تعطى الأولوية لخبرات الفئات المهمشة، وفي مقدمتها النساء.

بالتالي فإن المعرفة السيادية هي عملية إنتاج معرفي تنبثق من الداخل الاجتماعي والثقافي للمجتمع، وتستند الى خبراته التاريخية والحياتية، وتمتلك القدرة على تقرير مسارها وأولوياتها ومنهجياتها، دون الخضوع

١. مبارك أبت خليفة، الفلسفة البراغماتية علم الاجتماع الحضري- نموذج مدرسة شيكاغو، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز

الديمقراطي العربي، العدد السابع، ديسمبر، ٢٠١٨، ص ١٢٥ .

٢. عبد الرحمن المالكي، مصدر سابق، ص ٣٠ .

لإملاءات أو مقاييس خارجية تفرضها مراكز القوة المعرفية العالمية، كونها معرفة ذات استقلال نقدي، ترتبط بهوية المجتمع وحقوقه في تقرير مصيره المعرفي، وتضع الافراد والفئات المهمشة خاصة النساء كشركاء فاعلين في صياغة النظرية والممارسة.^١

المرتكزات النظرية للمعرفة السيادية في السوسيولوجيا:

- الاستقلال المعرفي: رفض التبعية لمراكز إنتاج المعرفة المهيمنة، مع الحفاظ على الانفتاح النقدي تجاه التجارب العالمية.
- التوضع المحلي: انطلاق البحث من مواقع اجتماعية وثقافية محلية، مع إدراك أن هذه المواقع مصدر قوة معرفية وليست عائقاً
- التحرر من الاستعمار المعرفي تفكيك البنى المعرفية الهجينة التي تفرض أطراً تفسيرية لا تنبع من التجربة المحلية.
- المشاركة المجتمعية: إشراك المجتمع وخاصة الفئات المهمشة في صياغة الاسئلة البحثية، وتفسير النتائج، وتحديد الأولويات

الخصائص المميزة:

- أصيلة نابعة من التجربة الميدانية والذاكرة الجمعية.
- نقدية قادرة على مسائلة المعايير السائدة في إنتاج المعرفة.
- تحريرية تساهم في تمكين الفئات المستبعدة من المساهمة في صياغة المعرفة.
- متجذرة في السياق العراقي والعربي في بنيتها ومفاهيمها.
- عابرة للهيمنة ترفض احتكار المعرفة من قبل المؤسسات أو النخب المهيمنة.

الابعاد التطبيقية في الإستمولوجيا النسوية العراقية:

- إعادة قراءة الاعراف والظواهر الاجتماعية من منظور النوع الاجتماعي، مع استعادة التجارب النسائية المظمورة.
- تطوير أدوات البحث والمفاهيم بحيث تكون مشتقة من الواقع العراقي بدل الاعتماد على النماذج المستوردة دون تعديل.

١. المعرفة السيادية: مصطلح من صياغة الباحثة، يطرح لأول مرة في هذا البحث ليصف نمطاً من إنتاج المعرفة متجذر في السياق العراقي، يمتلك استقلالاً نقدياً، ويرفض التبعية للنماذج المعرفية المهيمنة، استلهمت الفكرة من النقاشات العالمية حول دراسات السكان الاصليين وتمت إعادة تأصيلها وتكييفها في إطار الابستمولوجيا النسوية العراقية.

- تأسيس فضاءات نسوية مستقلة من خلال أنشاء مراكز بحثية ومجموعات فكرية تمنح النساء باحثات ومنتجات معرفة مساحة لصياغة خطابهن بعيداً عن هيمنة المؤسسات الذكورية.
- تحول المعرفة الى أداة سيادة اجتماعية حيث استخدامها لا يقتصر على الفهم الاكاديمي، بل لصياغة سياسات عامة وقوانين عادلة (تم صياغة مسودة قانون المدونة الجعفرية ٢٠٢٥ من الرجال فقط) وبالتالي تعكس أصوات الفئات المهمشة.

الخاتمة:

تريد الأبستمولوجيا العلمية النسوية أن تكون تحررية، تمد علاقة بين المعرفة والوجود والقيمة، لتكشف عن الشكل العادل لوجودنا في العالم، وترى العلم علماً بقدر ما هو محمل بالقيم والأهداف الاجتماعية، ولابد أن يكون ديمقراطياً يقبل التعددية الثقافية والاعتراف بالآخر، أنه الانفتاح على الطبيعة والعالم بتصورات أنثوية تناوياً أحادية الجانب، أن مفاهيم الأبستمولوجيا بشكل عام والسوسيولوجيا بشكل خاص تعقداً كثيراً كمفاهيم فلسفية واجتماعية، لكن الفكرة الجوهرية في هذه الاتجاهات هو أنتاج نوعي للمفاهيم العلمية.

خاضت هذه الدراسة في مجال نظرية المعرفة النسوية وإمكانيات لإنتاجها في سياق علم الاجتماع العراقي، من خلال أنتاج " المعرفة السيادية " ومن خلال التحليل خضنا في الكشف عن التفاعل المعقد بين الفكر النسوي وتطور الأطر المعرفية في مجال علم الاجتماع العراقي، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات تمثلت:

١. غياب إطار إبستمولوجي نسوي في السياق العراقي والاعتماد على روافد مستوردة أنتج معرفة متأزمة.
٢. أظهرت الدراسة أن تجاوز المعرفة الهجينة يتطلب نموذجاً معرفياً مستقلاً، يعيد تعريف أسس إنتاج المعرفة في العراق.
٣. طرح مفهوم " المعرفة السيادية " يمثل هذا المفهوم كما صاغته الباحثة، إطاراً نقدياً بديلاً يهدف لإنتاج معرفة أصيلة مستقلة قادرة على التفاعل مع المعرفة النسوية العالمية من موقع قوة.
٤. المعرفة السيادية كمشروع تحرري، بالتالي تبني هذا المفهوم ليس خياراً منهجياً، بل كونه مشروع تحرري معرفي قادر على قراءة الواقع ونقده والتحرر من القوالب المعرفية العالمية بالتالي يعيد تشكيل علاقة السوسيولوجيا العراقية بمجتمعها.

المصادر:

١. رشيد بن بيه، الابستمولوجيا النسوية وتأثيرها في إنتاج المعرفة السوسيولوجية وفهمها في المنطقة الغربية، مجلة عمران، العدد ٣٧/١٠، صيف ٢٠٢١.
٢. يمنى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد ٢، المجلد ٣٤، أكتوبر - ديسمبر، ٢٠٠٥.
٣. شارلين ناجي هيسي، بايير باتريشا لينا ليفي، مدخل الى البحث النسوي ممارسة وتطبيقاً، ترجمة: هالة كامل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥.
٤. ليلي عبد الوهاب، موقف علم الاجتماع من قضايا المرأة، واقع المرأة الوفية، مجلة الوحدة العربية، السنة الاولى، العدد ٩، المجلس القومي للثقافة العربية، يوليو، ١٩٨٥.
٥. علي الوردي، لمحات من تاريخ العراق الحديث، ج ١.
٦. زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢١، ص ٩٢.
٧. عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، أفريقيا الشرق، المغرب -الدار البيضاء، ٢٠١٦.
٨. مبارك أبت خليفة، الفلسفة البراغماتية علم الاجتماع الحضري- نموذج مدرسة شيكاغو، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي، العدد السابع، ديسمبر، ٢٠١٨.
٩. لاهاي عبد الحسين، دراسات اجتماعية من العراق، دار المدى، بغداد.
١٠. جلال مبسوط، الترجمة وتحقيق التواصل بين الثقافات، بحث منشور، مجلة تمثلات، جامعة مولود معمري، المجلد ٥، العدد ٢، ٢٠٢١.
١١. توماس هايلاند إيركسون، فين سيفرت نيسون، تريخ النظرية الانثروبولوجية، ترجمة: لاهاي عبد الحسين، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٣.
١٢. علي الوردي، في علم اجتماع المعرفة، ترجمة: لاهاي عبد الحسين، دار المدى، بغداد، ٢٠١٨.
١٣. لاهاي عبد الحسين، نساء عراقيات: وجهة نظر اجتماعية، دار المدى، العراق.
١٤. ناجح المعموري، مروييات داعش، سرديات عن الجنس والعنف، جريدة المدى، العدد ٥٠١٦، ٢٠٢١.
١٥. لاهاي عبد الحسين، في علم اجتماع الحياة العامة، دار المدى، بغداد، ٢٠٢٣.